

7-1-2022

The constitutional heritage and its effect on the recent constitution Ali ibn Abe Talab To Malek Alashtar as a model

Amal Yassin Abdul Khaleq Hussein
Girls College, Ain Shams University, amalyassin44@gmail.com

Follow this and additional works at: <https://jfa.cu.edu.eg/journal>



Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#)

Recommended Citation

Hussein, Amal Yassin Abdul Khaleq (2022) "The constitutional heritage and its effect on the recent constitution Ali ibn Abe Talab To Malek Alashtar as a model," *Journal of the Faculty of Arts (JFA)*: Vol. 82: Iss. 3, Article 10.

DOI: 10.21608/jarts.2021.78737.1149

Available at: <https://jfa.cu.edu.eg/journal/vol82/iss3/10>

This Original Study is brought to you for free and open access by Journal of the Faculty of Arts (JFA). It has been accepted for inclusion in Journal of the Faculty of Arts (JFA) by an authorized editor of Journal of the Faculty of Arts (JFA).

الموروث الدستوري وأثره فى صياغة الدستور المعاصر

(عهد علي بن أبى طالب إلى مالك الأشرى أنموذجا)^(*)

د/ آمال يس عبد الخالق حسين

استاذ مساعد - قسم اللغة العربية وآدابها

كلية البنات - جامعة عين شمس

المخلص:

يرجع الباحث على اختيار موضوع الدراسة إلى أن تراثنا الأدبي العربي تراث عريق جدير بأن يوليه الباحثون عنايتهم، فما زالت أغلب النصوص الأدبية العربية - ومن بينها النص موضوع الدراسة - فى حاجة إلى دراستها، والتقيب عما بها من طاقات إبداعية. وتكمن أهمية الدراسة فى عنايتها بإحياء تراثنا الأدبي، وإثبات أصالته، وإلقاء الضوء على جذور الدستور المعاصر فى العهد التراثي لعلي بن أبى طالب إلى مالك الأشرى.

وتهدف الدراسة إلى إعادة قراءة تراثنا النثري القديم قراءة جديدة وفق المناهج النقدية المعاصرة، وذلك من خلال دراسة عهد علي بن أبى طالب إلى مالك الأشرى من منطلق نقدي حديث، لبيان مدى أسبقية علي بن أبى طالب فى سنّ وصياغة الدساتير التى تنظم السلطات العامة فى الدولة، بالإضافة إلى الكشف عن أثر هذا الموروث الدستوري فى الصياغة القانونية للدستور المصري الحالي الصادر عام ٢٠١٤م.

واعتمدت فى الدراسة على المنهج التحليلي والمنهج المقارن. فالمنهج التحليلي من المناهج النقدية التى تعنى بدراسة الأثر الأدبي وتحليله تحليلًا يوضح عناصر جماله وتأثيره فى النفوس.

(*) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٢) العدد (٦) يوليو ٢٠٢٢.

- أما المنهج المقارن فهو لون من ألوان المناهج النقدية التي تركز على عقد مقارنات بين الظواهر المتعلقة بالبحث العلمي، وذلك لرصد أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها.
- ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة :-
- أن عهد علي بن أبي طالب مقارنة بالدستور المصري الحالي الصادر عام ٢٠١٤ م يعد وثيقة إسلامية رائدة في مجال الحكم والإدارة، وقد اشتمل على العديد من المبادئ الدستورية المعمول بها في الوقت الراهن، ومن ثم كان عهد علي بن أبي طالب إلى مالك الأشتر اللبنة التي شيدت بها العديد من المبادئ الدستورية المعاصرة.
 - اعتمد علي بن أبي طالب في صياغته القانونية في عهده إلى مالك الأشتر على عدة أسس منها : وضع عنوان للدستور - تقسيم الدستور إلى بنود - اللغة القانونية - الصيغ الإنشائية الأمرة والناهية - الربط الشرطي والجمل السببية.
- الكلمات المفتاحية:** الموروث الدستوري- الدستور المعاصر - التراث النثري.

Abstract

The constitutional heritage and its impact on the drafting of the contemporary constitution (The Covenant of Ali bin Abi Talib to Malik Al-Ashtar as a model)

The cause of the choice of the topic of this study is that our Arab literary heritage is great and deserves that our researches give it due care. Most of the Arab literary texts, especially the text which is the (topic) aim of study needs a study to know its shapes of language.

The importance of study lies in its care of the survival of the literary heritage, prove its origin, putting lights on the roots of the recent constitution in the constitutional heritage from Ali to Malek.

The research aims at re-reading our ancient versal heritage carefully by recent critical approaches, through the study of Ali Ibn Abe Taleb to Malek AlAshtar in a recent critical approach to show

that how Ali was the first one to put and form the constitutions which organise the puplic authorities in the state , Besides knowing the effect of these consitutions on the legal form of the recent Egyptian constitution issued in 2014.

I depend in this study on the analysis approach and the comparative one. The analysis approach is one of the critical approaches which cares of the literary text and analyses it well to show its beauty and effect on souls.

On the other land, the comparative approach is one of the critical approaches which concentrates on the comparisons among the phenomena related to the scientific research to show the similarities and differences between them.

The results of this study :-

The constitution of Ali compared to the Egyptian one in 2014is considered a pioneer Islamic document in the field of administration and governing. It contains a lot of constitutional principles which used nowadays so the constution of Ali to Malek was the mudbrick which formed a lot of recent constitutional principles.

Ali depened in his legal forms of his constitution to Malek on a lot of bases ex. Putting titles for consitutions , Diving the constitution into items – The command and prohibited forms – The conditional link – The causative sentences.

المقدمة

من أهم مقومات تقدم الأمم والمجتمعات أن تبنى مؤسساتها على مبادئ تشريعية ثابتة وفق أحكام الدستور، وهذا يتحقق عبر سن قوانين تتسم بالدقة والوضوح، يراعى فيها المشرع العدالة وحقوق الإنسان.

وتكمن أهمية الدراسة فى عنايتها بإحياء تراثنا الأدبي، وإثبات أصالته، وإلقاء الضوء على جذور الدستور المعاصر فى العهد التراثي لعلي بن أبى طالب إلى مالك الأشتر.

ويرجع الباحث على اختيار موضوع الدراسة إلى أن أغلب نصوص

الأدب العربي القديم مازالت فى حاجة إلى دراستها والتنقيب عما بها من طاقات إبداعية.

ويهدف البحث إلى قراءة تراثنا النثري القديم قراءة جديدة وفق المناهج النقدية المعاصرة، وذلك عبر دراسة عهد علي بن أبى طالب إلى مالك الأشر من منطلق نقدي حديث، لبيان مدى أسبقية علي بن أبى طالب فى سن وصياغة الدساتير وفقا للمعايير التى تسن وتصاغ بها الدساتير المعاصرة التى تنظم السلطات العامة فى الدولة، والكشف عن مدى تأثيره فى صياغة الدستور المصري الحالي الصادر عام ٢٠١٤ م.

واعتمدت فى البحث على المنهج التحليلي والمنهج المقارن. فالمنهج التحليلي من المناهج النقدية التى تعنى بدراسة الأثر الأدبي وتحليله تحليلًا يوضح عناصر جماله وتأثيره فى النفوس.

أما المنهج المقارن فهو لون من ألوان المناهج النقدية التى تركز على عقد مقارنات بين الظواهر المتعلقة بالبحث العلمي، وذلك لرصد أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها.

أما الدراسات السابقة فمنها :-

- فن الصياغة القانونية تشريعا وفقها وقضاء، عبدالقادر الشخلى، دار الثقافة، ١٩٩٥م.
- أصول الصياغة القانونية، حيدر أدهم عبدالهادى، دار الحامد، ٢٠٠٩م.
- الموسوعة الدستورية المصرية، المستشار / رجب عبدالحكيم نائب رئيس المحكمة الدستورية العليا، القاهرة، ٢٠١١م.
- اللغة العربية والقانون، أ.د أحمد عبدالظاهر، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٨م.

▪ أساسيات الصياغة القانونية، فهيمة أحمد على، دار الكتب والدراسات العربية، ٢٠١٩م

وقد اقتضت طبيعة الموضوع تناوله على النحو الآتي :

- ١- تحديد مفهوم العهد والدستور .
 - ٢- تحديد مفهوم الصياغة القانونية.
 - ٣- علي بن أبي طالب ومالك الأشتر.
 - ٤- مبادئ دستور علي بن أبي طالب إلى مالك الأشتر مقارنة بالدستور المصري الحالي ٢٠١٤م.
 - ٥- ضوابط الصياغة القانونية.
 - ٦- أسس الصياغة القانونية في دستور علي بن أبي طالب.
- خاتمة : عرضت فيها النتائج التي تم التوصل إليها.
 - الحواشي.
 - ثبت بالمصادر والمراجع.

١- تحديد مفهوم العهد والدستور

العهد في اللغة : كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من الموثيق، والعهد : الوصية، والعهد : التقدم إلى المرء في الشئ، والعهد الذي يكتب للولاية وهو مشتق منه، والعهد : الموثق واليمين يحلف بها الرجل. (١)

والعهد في الاصطلاح : حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال وهذا أصله، ثم استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته وهو المراد. (٢)

والدستور في اللغة : كلمة ليست عربية، ويرجح البعض أنها كلمة فارسية مركبة من Dest بمعنى القاعدة والأساس والأصل، و Dur بمعنى صاحب الشئ أو المسؤول عنه. وقد دخلت إلى اللغة العربية عن طريق اللغة

التركية، ويقصد بها التأسيس أو التكوين أو النظام. (٣) وذهب البعض إلى أنها تعنى الدفتر الذى تجمع فيه قوانين الملك، ثم صارت تعنى القانون الأساس الذى يبين أصول نظام الحكم. (٤)

أما الدستور فى الاصطلاح فيقصد به الوثيقة التى تتضمن مجموعة القواعد القانونية الأساسية التى تبين نظم الحكم فى الدولة، فتحدد السلطات الأساسية فيها، وتحدد اختصاصات هذه السلطات، والعلاقة فيما بينها، وحقوق الأفراد ومداهها. (٥)

وقد أكدت المحكمة الدستورية العليا المصرية هذا المعنى فى حكمها " إن الدستور هو القانون الأساسى الأعلى الذى يرسى القواعد والأصول التى يقوم عليها نظام الحكم، ويحدد السلطات العامة، ويرسم لها وظائفها، ويضع الحدود والقواعد الضابطة لنشاطها، ويقرر الحريات والحقوق العامة، ويرتب الضمانات الأساسية لحمايتها. (٦)

ويعد عهد علي بن أبى طالب إلى مالك الأشرى دستوراً ينظم سلوك الأفراد فى المجتمع على نحو ملزم، وينظم العلاقات فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين السلطة العامة المتمثلة فى الوالى والعمال من جهة أخرى.

٢- تحديد مفهوم الصياغة القانونية

الصياغة لغة: من صوغ والصوغ مصدر صاغ الشئ يصوغه صوغاً وصياغة وصغته أصوغه صياغة أى سبكه، ويقال : صاغ شعراً أو كلاماً أى وضعه ورتبه. (٧)

وفى اللغة الانجليزية يعبر عن كلمة (صاغ) بـ Draft ويقصد بها شكّل وهياً، ويقصد بكلمة Draftman محرر أو صائغ الوثائق، أى الشخص الذى يصوغ الوثائق القانونية وغيرها من المحررات الرسمية. (٨)

وتتكون القواعد القانونية من عنصرين رئيسيين هما: الموضوع والصياغة. وأعنى بالموضوع المادة الأولية التي يتكون منها القانون. والصياغة هي إخراج هذا الموضوع إلى حيز العمل والتنفيذ عبر الوسائل الفنية التي تسهم في التعبير عنها. وهذه الوسائل يطلق عليها أساليب الصناعة أو صياغة القانون.

ومن ثم فإن الصياغة القانونية اصطلاحاً تعنى تحويل المادة الأولية التي منها القاعدة القانونية إلى قواعد منضبطة محددة، وعملية للتطبيق الفعلي على نحو يحقق الغاية التي يفصح عنها جوهرها. (٩) أو هي مجموعة الوسائل والقواعد المستخدمة لصياغة الأفكار القانونية والنصوص التشريعية بطريقة تسهم في تطبيق القانون من الناحية العملية، وذلك باستيعاب وقائع الحياة في قوالب تشريعية لتحقيق الغرض الذي تنشده السياسة القانونية. (١٠)

٣- علي بن أبي طالب ومالك الأشتر

علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف، بويغ بالخلافة بعد حادثة مقتل الخليفة عثمان بن عفان عام ٣٥هـ، وكانت الأوضاع وقتئذ متردية، ومن ثم وضع علي خطة إصلاحية شاملة ركز فيها على شئون الإدارة والاقتصاد والحكم (١١)

كما أنه سارع إثر توليه الخلافة إلى إقالة عمال عثمان بن عفان، فقد كان علي بن أبي طالب " يمتلك موهبة قيادة ومعرفة بالنفوس والأوضاع القائمة، وأنه أقال الولاة ليختار سواهم حسب ما يراه ملائماً لتحقيق الانسجام الإداري والسياسي بين الخليفة وأعوانه ". (١٢)

وقد اختار علي بن أبي طالب مالك الأشتر ليكون والياً على مصر. وهو مالك بن الحارث النخعي، أحد الأشراف والأبطال المذكورين. حَدَّثَ عن

عمر، وخالد بن الوليد، وفقئت عينه يوم اليرموك. وكان شهما مطاعا، وكان ذا فصاحة وبلاغة. شهد صفين مع علي، وتميز يومئذ، وكاد يهزم معاوية، فحمل عليه أصحاب علي لما رأوا مصاحف جند الشام على الأسنة يدعون إلى كتاب الله. وما أمكنه مخالفة علي فكف. ولما رجع علي من موقعة صفين جهز الأشرتر واليا على ديار مصر، وقد مات مسموما، فقيل: إن عبدا لعثمان عارضه، قسم له عسلا. وقد كان علي يتبرم به، لأنه كان صعب المراس، فلما بلغه نعيه قال: إن لله مالك، وما مالك، وهل موجود مثل ذلك؟ لو كان حديدا، لكان قيذا، لو كان حجرا، لكان صلدا، على مثله فلتبك البواكي. (١٣)

٤- مبادئ دستور علي بن أبي طالب إلى مالك الأشرتر مقارنة بالدستور المصري الحالي ٢٠١٤م

يعد دستور علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشرتر (١٤) من أهم الدساتير لأنه يكشف قدرة أمير المؤمنين على إدارة شئون الدولة، ويلقى الضوء على عقليته القانونية التي عكستها بنود هذا الدستور.

ومن ثم فإن دستور علي بن أبي طالب يُعد وثيقة شاملة لواجبات الحاكم وسلطاته وعلاقته بالرعية، والتعاليم والقيم المرتبطة بالأمر السياسي والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، والسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وضوابط القائمين عليها.

وإذا تأملنا دستور علي بن أبي طالب مقارنة بالدستور المصري الحالي (١٥). يتضح لنا أن دستور علي بن أبي طالب رضى الله عنه وثيقة إسلامية رائدة في مجال الحكم والإدارة. وقد اشتمل على العديد من المبادئ الدستورية المعمول بها في الوقت الراهن.

فقد حدد علي بن أبي طالب لمالك الأشرتر دعائم الحكم ومقوماته وهي

الأخذ بمبادئ الشريعة الإسلامية فقال : " أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه، من فرائضه وسنته، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها..." وهذا المبدأ يقابله في الدستور المصري المادة (٢) والتي تنص على أن " الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الأصلية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع."

كما أسند علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر سلطة جباية الخراج فقال : "... وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله..." وهذا البند يقابله في الدستور المصري المادة (٣٨) والتي تنص على أن " يهدف النظام الضريبي وغيره من التكاليف العامة إلى تنمية موارد الدولة وتحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية... ويراعى في فرض الضرائب أن تكون متعددة المصادر وتكون الضرائب على دخول الأفراد تصاعدياً متعددة الشرائح وفقاً لقدراتهم التكليفية، ويكفل النظام الضريبي تشجيع الأنشطة الاقتصادية كثيفة العمالة وتحفيز دورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية."

وحرص علي بن أبي طالب على العناية بعمارة الأرض كمقوم أساسي للاقتصاد الوطني فقال : "... وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد، وأهلك العباد..." وهذا البند يقابله المادة (٢٩) من الدستور " الزراعة مقوم أساسي للاقتصاد الوطني، وتلتزم الدولة بحماية الرقعة الزراعية وتجريم الاعتداء عليها..."

وعن حقوق الرعية في الدولة أمر علي بن أبي طالب واليه على مصر

مالك الأشر بآنصاف الرعية فى سياسته، وإنصافهم من خاصة أهله والتابعين له فقال "... أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعبتك، فإنك إلا تفعل تظلم ! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله أدحض حجه، وكان لله حربا حتى ينزع أو يتوب..." وهذا البند يقابله المادة (٥١) من الدستور " الكرامة حق لكل إنسان ولا يجوز المساس بها وتلتزم الدولة باحترامها وحمايته " والمادة (٥٣) " المواطنون لدى القانون سواء وهم متساوون فى الحقوق والحريات والواجبات العامة لا تمييز بينهم بسبب الدين أو العقيدة أو الجنس أو الأصل أو العرق... وتلتزم الدولة باتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على كافة أشكال التمييز "

وعن تنظيم السلطة القضائية فى دستور علي بن أبى طالب إلى مالك الأشر وضع ضوابط اختيار القضاة، وآلية الفصل فى المنازعات فقال : "... ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعبتك فى نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى فى الزلة ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم فى الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم..." وهذا البند يقابله فى الدستور المادة (١٨٤) " السلطة القضائية مستقلة تتولاها المحاكم على اختلاف أنواعها ودرجاتها وتصدر أحكامها وفقا للقانون، ويبين القانون صلاحياته. " والمادة (١٨٥) " يعين رئيس الجمهورية رؤساء الجهات والهيئات القضائية... وذلك على النحو الذى ينظمه القانون... ويقوم على شئونها مجلس أعلى يرأسه رئيس الجمهورية... يختص بالنظر فى شروط تعيين أعضاء الجهات والهيئات القضائية وترقيتهم وتأديبهم "

وإذا انتقلنا إلى منهج علي بن أبي طالب في تعيين العاملين في أجهزة الدولة، فقد رأى أن يكون التعيين وفقا للبحث عنهم والفحص عن سيرتهم فقال: "... ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا، ولا تولهم محاباة وأثرة فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة. وتوخ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة..." كما وضح الأسباب التي تقتضى عزل العمال فقال: "... فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله..." وهذا البند يقابله مادة (١٤) من الدستور " الوظائف العامة حق للمواطنين على أساس الكفاءة ودون محاباة أو وساطة وتكليف للقائمين بها لخدمة الشعب وتكفل الدولة حقوقهم وحمايتهم وقيامهم بأداء واجباتهم في رعاية مصالح الشعب، ولا يجوز فصلهم بغير الطريق التأديبي إلا في الأحوال التي يحددها القانون " ونص المادة (١٥٣) من الدستور " يعين رئيس الجمهورية الموظفين المدنيين والعسكريين... ويعفيهم من مناصبهم..."

وفى سبيل مكافحة الممارسات الاحتكارية المضرة لمصلحة المجتمع قال: " واعلم. مع ذلك. أن فى كثير منهم ضيقا فاحشا، وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع، وتحكما فى البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاية. فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منع منه. وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقبه فى غير إسراف... " وهذا البند يقابله المادة (٢٧) من الدستور "... يلتزم النظام الاقتصادى بمعايير الشفافية والحوكمة ودعم محاور التنافسية وتشجيع الاستثمار... ومنع الممارسات الاحتكارية. وكفالة الأنواع المختلفة للملكية والتوازن بين مصالح

الأطراف المختلفة بما يحفظ حقوق العاملين ويحمى المستهلك " .

مما سبق يتبين لنا أن الدستور المصري الحالي أخذ بالعديد من المبادئ الواردة بعهد علي بن أبي طالب إلى مالك الأشروالي مصر، فكان عهد علي بن أبي طالب إذن هو اللبنة التي شيدت بها العديد من المبادئ الدستورية المعاصرة.

٥ - ضوابط الصياغة القانونية

إن أهمية الصياغة القانونية تتبع من اعتبارها الوسيلة الرئيسة التي تسهم في الوصول إلى الغرض من سن القوانين، والغاية التي يسعى إليها واضعها عبر إصداره للقواعد القانونية. فالاهتمام بالصياغة القانونية للدستور ليس مجرد اعتناء بالجانبين الشكلي والإجرائي فقط بل يمتد الأمر إلى " السعي نحو الوصول إلى تطبيق دولة القانون والحكم الرشيد، وذلك من خلال سن تشريع جيد ومتطور وقابل للتطبيق على الجميع على قدم المساواة." (١٦)

فالصياغة القانونية للدستور تعد عنصرا رئيسا من عناصر الإدارة الحكيمة، مما يؤثر ذلك على كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للدولة.

والقوانين لا تسن من أجل أن يعلم أحكامها ويعيها القانونيون فحسب وإنما تسن من أجل أن يعيها كل المواطنين، ومن ثم يجب أن تتسم القوانين بالوضوح وسهولة الفهم مما يمكن للمواطن العادي استخدامه بسهولة في الحصول على ما هو مقرر له من حقوق، وفي أداء ما هو مفروض عليه من واجبات، وهناك ضوابط رئيسة لصياغة القوانين حتى تتسم بالوضوح هي : (١٧)

▪ تقسيم مشروع القانون إلى أقسام داخلية معنونة.

- تسلسل وترتيب ورود الأحكام الذى يتضمنها مشروع القانون وفق المنطق السليم.
- البناء الداخلى السليم لكل مادة من مواد مشروع القانون.

٦- أسس الصياغة القانونية فى دستور علي بن أبى طالب

يعكس دستور علي بن أبى طالب إمامه بالأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وتمكنه من وسائل الصياغة القانونية لكل ما يخص الأوضاع السابقة، وذلك لتحقيق المصلحة العامة التى تتطلع إليها سياسة الدولة، فالصياغة القانونية السليمة غايتها تسهيل فهم القانون والعمل بأحكامه.

وقد اعتمد علي بن أبى طالب فى صياغته القانونية لمبادئ دستوره إلى مالك الأشر على عدة أسس منها : **وضع عنوان للدستور (العهد)**، فقد حرص على وضع عنوان لدستوره اشتمل على اسم المشرع (واضع الدستور أو العهد) بصفته أمير المؤمنين، واسم القائم على تنفيذ أحكام الدستور بصفته والى مصر. كما حدد علي بن أبى طالب فى العنوان سلطات مالك الأشر فى ولايته على مصر فقال : " هذا ما أمر به عبدالله علي أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشر فى عهده إليه، حين ولاه مصر : جباة خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها وعمارة بلادها... ".

ومن أسس الصياغة القانونية فى دستور علي بن أبى طالب **تقسيم الدستور إلى بنود** وفقا للموضوعات التى طرحها الخليفة، وهذا من شأنه الإسهام فى ضبط وتسلسل ورود الأحكام بطريقة منطقية. وإن لم يضع علي بن أبى طالب عنوانا لكل بند من بنود الدستور، إلا أنه استعملها بما يدل على فحواها.

وآية ذلك الأحكام التي سنها بشأن التجار وذوي الصناعات باعتبارهما عصب الحياة الاقتصادية فقال : " ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهما خيرا : المقيم منهم والمضطرب بما له، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، فى برك وبحرك، وسهلك وجبلك... ".

وعند تنظيمه لشروط قادة الجيوش قال : " فول من جنودك أفصحهم فى نفسك لله ولرسوله وإمامك، وأنقاهم جييا، وأفضلهم حلما، ممن يبطن عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف...".

وعندما وضع منهاجا لاختيار العمال فى جهاز الدولة، قائم على البحث عنهم وفحص سيرتهم، ثم إغداق الأموال عليهم حماية لهم من أخذ الرشوة، فإن فعلوا بعد ذلك وجب عليه عقابهم عقابا صارما قال : " ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختبارا، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة، والقدم فى الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقا... ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك وتلموا أمانتك... ".

وعلى هذا النحو يمضى علي بن أبى طالب فى تناول بنود قضايا الحكم والإدارة تناولا دقيقا، مستوفيا كل ما يتعلق بكل بند وفق تسلسل منطقى سليم.

ومن دعائم الصياغة القانونية فى دستور علي بن أبى طالب اللغة، فالعلاقة " بين الصياغة القانونية واللغة وعلومها علاقة وطيدة، تتبع من أن

اللغة هي بمثابة المتكأ الذي تستند عليه الصياغة، فهي الأداة الأساسية للصياغة. (١٨)

ولإدراك علي بن أبي طالب أهمية القالب اللغوي الذي يضم الأحكام، وانطلاقاً من أن المشرع يقصد ما يقول فقد عمد إلى استخدام لغة اتسمت بالفصاحة، والسلامة، والوضوح والدقة. وقد تحقق ذلك عبر انتخابه للألفاظ التي تعبر عن معنى واحد في كل بنود الدستور، فمفردات دستوره غير قابلة لأكثر من تأويل، كما أن التراكيب اللغوية فيه لا تحتمل أكثر من وجه عند تفسير النص.

وهذا يدل على وعى علي بن أبي طالب بسمات اللغة القانونية، فهي لغة مباشرة بعيدة كل البعد عن الأساليب البلاغية كالخيال والتي من شأنها هدم كيان النص (١٩). فاللغة القانونية تهدف إلى وضع الأحكام مباشرة بين يدي متلقيها.

يتضح ذلك في قول علي بن أبي طالب عندما حدد لمالك الأشتر المنهج العسكري في معاملة العدو حال طلبه الصلح، وضرورة الحذر من العدو في حال قبوله الصلح: "... ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك والله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمنا لبلادك، ولكن الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ الحزم، واتهم في ذلك حسن الظن...".

وتبدو اللغة القانونية المباشرة الواضحة في بند المزارعين بصفتهم العامل الرئيس في تنمية الاقتصاد القومي، وقد حدد علي بن أبي طالب في هذا البند سبل الإحسان إليهم، ومراعاة حياتهم الاقتصادية بما لم يألفوا مثله فيما مضى من حكومات فقال: " فإن شكوا ثقلاً أو علة، أو انقطاع شرب

أوبالة، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خفت به المؤونة عنهم، فإنه زخر يعودون فيه عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلاب حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم...".

ومن منطلق أن النصوص القانونية تعتمد في صياغتها بوجه عام على الإنشاء، فقد اسس علي بن أبي طالب عهده على استخدام الصيغ الإنشائية الآمرة والناهية كما في قوله: "... أنصف الله وأنصف الناس من نفسك... وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق...".

وقال أيضا: " فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله... ثم الصق بذوى المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة...".

ونراه يقول أيضا: " ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعينك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور... ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختاراً، ولا تولهم محاباة، وآثره... وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم... وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج...".

وقال: "... ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله... فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل...".

يتبين لنا مما سبق أن المشرع (علي بن أبي طالب) قد أقام عبارات عهده إلى مالك الأشر في الغالب على الإنشاء الصريح، فاستعمل صيغ الأفعال الإنجازية التي تؤدي إليه، وتحمل الحكم بالوجوب أو الحظر: مثل: (أنصف - وليكن - فول - الصق - اختر - انظر - لا تولهم - تفقد -

استوص - أوص - فامنع).

فالقوائم والدساتير أو العهود تستعمل فيها الصيغ الأمرة والناهية التي تحمل معنى الأمر من أجل " تحديد الواجبات، وفرض الالتزامات وحظر القيام بأعمال معينة، وتحويل السلطة التقديرية، ومنع الحقوق والاختصاصات، وتعتمد صياغة القواعد القانونية بدرجة كبيرة على استخدام هذه الصيغ ". (٢٠)

والنص القانوني يكون متماسكا عندما يلجأ المشرع في بناء عمله على أساس الربط الشرطي، وهو الربط بين جملتين إحداهما شرط والأخرى جزاء، وكلتا الجملتين لا تستغنى أحدهما عن الأخرى. (٢١) أو يقيم عباراته وجمله على السببية، وهذا كله يسهم في تهيئة القارئ إلى الحكم المترتب على ما سبق.

وعلى هذا الأساس صاغ علي بن أبي طالب عهده فبدا متماسكا مترابطا، ومن ذلك قوله : "... أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعبتك، فإنك إلا تفعل تظلم ! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حربا... ".

ونلاحظ ذلك أيضا في قوله : "... ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جبانا يضعفك عن الأمور، ولا حريصا يزين لك الشر بالجر، فإن البخل والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله... ".

ويتضح ذلك في قوله أيضا : "... ولا تتقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشئ من ماضى تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنها، والوزر عليك بما نقضت منها... ".

ونتبين ذلك في قوله : "... وليكن أثر رؤوس جنك عندك من واساهم

فى معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلف أهليهم، حتى يكون همهم هما واحدا فى جهاد العدو...".

مما سبق يتضح لنا أن الإمام علي بن أبى طالب قد صاغ عهده إلى مالك الأشتر - إلى حد كبير - وفقا للمعايير التى تسن وتصاغ بها الدساتير المعاصرة، فبذلك يكون سباقا فى وضع المبادئ العامة فى سن وصياغة الدساتير التى تنظم السلطات العامة فى الدولة.

الخاتمة

تبيين من الدراسة النتائج الآتية :

- ١- يعد عهد علي بن أبى طالب إلى مالك الأشتر دستورا ينظم سلوك الأفراد فى المجتمع على نحو ملزم، وينظم العلاقات فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين السلطة العامة المتمثلة فى الوالى والعمال من جهة أخرى.
- ٢- كشف عهد علي بن أبى طالب قدرته على إدارة شئون الدولة وألقى الضوء على عقليته القانونية التى عكستها بنود هذا العهد.
- ٣- إن عهد علي بن أبى طالب وثيقة قانونية شاملة لواجبات الحاكم وسلطاته وعلاقته بالرعية، والتعاليم والقيم المرتبطة بالأمور السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، والسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وضوابط القائمين عليها.
- ٤- إن عهد علي بن أبى طالب مقارنة بالدستور المصري الحالي الصادر عام ٢٠١٤م يعد وثيقة إسلامية رائدة فى مجال الحكم والإدارة وقد اشتمل على العديد من المبادئ الدستورية المعمول بها فى الوقت الراهن.
- ٥- إن الدستور المصري الحالي الصادر عام ٢٠١٤م أخذ العديد من المبادئ الواردة بعهد علي بن أبى طالب إلى مالك الأشتر والى مصر، فكان عهد

علي بن أبي طالب اللبنة التي شيدت بها العديد من المبادئ الدستورية المعاصرة.

٦- يعكس عهد علي بن أبي طالب إمامه بالأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وتمكنه من وسائل الصياغة القانونية لكل ما يخص الأوضاع السابقة وذلك لتحقيق المصلحة العامة التي تطلع إليها سياسة الدولة.

٧- اعتمد علي بن أبي طالب في صياغته القانونية لعهدته إلى مالك الأشتر على عدة أسس منها : وضع عنوان للدستور، تقسيم الدستور إلى بنود - اللغة القانونية - الصيغ الإنشائية الآمرة والناهية - الربط الشرطي والجمل السببية.

٨- صاغ علي بن أبي طالب عهدته إلى مالك الأشتر - إلى حد كبير - وفقا للمعايير التي تسن وتصاغ بها الدساتير المعاصرة، فبذلك يكون سباقا في وضع المبادئ العامة في سن وصياغة الدساتير التي تنظم السلطات العامة في الدولة.

الحواشى

- ١- لسان العرب، لابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج٦.
- ٢- معجم التعريفات، على بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوى، دار الفضيلة ص ١٣٤.
- ٣- انظر : الدستور المصرى الحالة المصرية أسئلة وإجابات فى ضوء الدساتير المقارنة، د/عماد الفقى، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ص ١٣.
- ٤- انظر : نظم الحكم ودستور الإمارات، د/ محمد كامل عبيد، إصدارات أكاديمية الشرطة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٤٢.
- ٥- انظر : النظم السياسية والقانون الدستورى، د/ فؤاد العطار، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ١٦٣.
- ٦- انظر الحكم الصادر بجلسة ١٩ من مايو سنة ١٩٩٠م فى القضية رقم ٣٧ لسنة ٩ قضائية دستورية، مجموعة أحكام المحكمة، الجزء الرابع القاعدة ٢٢٣، ص ٢٥٦.
- ٧- لسان العرب، لابن منظور، ج٥.
- ٨- انظر معجم المصطلحات القانونية، ترجمة منصور القاضى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٠١٣.
- ٩- انظر : المدخل للعلوم القانونية القسم الأول (النظرية العامة للقانون)، د/ توفيق حسن فرج، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٦٤. وانظر : النظرية العامة للقانون، د/مصطفى محمد الجمال، ود/عبدالحاميد محمد، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٦٤.
- ١٠- انظر : مبادئ القانون، د/ ثروت الأسيوطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٦٦. وانظر: فن الصياغة القانونية تشريعا وفقها وقضاء، د/ عبدالقادر الشبخلى، مكتبة دار الثقافة، ١٩٩٥م، ص ٤.
- ١١- انظر النظام الجبائى الإسلامى دراسة قانونية، جمال الهوارى، الجزائر، ١٩٩٢م، ص ٧٤.
- ١٢- عصر الخلافة الراشدة، د/ أكرم ضياء العمرى، مكتبة العبيكان، ص ١٤٣.
- ١٣- انظر : سير أعلام النبلاء، لأبى عبدالله شمس الذهبى، رتبته وزاده حسان عبدالمنان،

- بيت الأفكار الدولية، ١، ص ٣١٦٧.
- ١٤- انظر : نهج البلاغة، جمعة الشريف الرضى، تحقيق الشيخ فارس الحسنون، مركز الأبحاث العقائدية، ص ٦٩٦ وما بعدها.
- ١٥- دستور جمهورية مصر العربية الصادر عام ٢٠١٤م.
- ١٦- متطلبات الصياغة التشريعية الجيدة وأثرها على الإصلاح القانوني، د/ ليث كمال نصرأوين، كلية الحقوق، الجامعة الأردنية، ص ٤.
- ١٧- انظر : دليل جمهورية مصر العربية لإعداد وصياغة مشروعات القوانين، المستشار/ ماجد صبحي، إشراف المستشار/ هانى حنا، ورعاية المستشار/ محمد حسام عبدالرحيم، الإصدار الأول، يوليو ٢٠١٨م، ص ٥٨.
- ١٨- الوسيط فى علم الصياغة القانونية، الكتاب الأول النظرية العامة للصياغة القانونية المستشار الدكتور / عبدالناصر على عثمان، المجموعة العلمية للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٤١هـ - ٢٠١١م، ص ١٧٤.
- ١٩- انظر : محاضرات فى الترجمة القانونية، جمع وإعداد ومراجعة، أيمن كمال السباعى ص ٩.
- ٢٠- أصول الصياغة القانونية بالعربية والانجليزية، محمود محمد صبرة، المجموعة الدولية للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ١٥٠.
- ٢١- انظر : لغة القانون فى ضوء علم لغة النص، د/ سعيد أحمد بيومى، دار الكتب القانونية، دار شتات، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٢٤٩.

المصادر والمراجع

- أصول الصياغة القانونية بالعربية والانجليزية، محمود محمد صبرة، المجموعة الدولية للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م.
- الدستور الحالة المصرية (أسئلة وإجابات فى ضوء الدساتير المقارنة)، د/ عماد الفقى، المنظمة العربية لحقوق الإنسان.
- دستور جمهورية مصر العربية الصادر عام ٢٠١٤م.
- دليل جمهورية مصر العربية لإعداد وصياغة مشروعات القوانين المستشار/ماجد صبحى، إشراف المستشار/هانى حنا، ورعاية المستشار/ محمد حسام عبدالرحيم، الإصدار الأول، يوليو ٢٠١٨م.
- سير أعلام النبلاء، لأبى عبدالله شمس الذهبى، رتبه وزاده حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية.
- عصر الخلافة الراشدة، د/أكرم ضياء العمرى، مكتبة العبيكان.
- فن الصياغة القانونية تشريعا وفقها وقضاء، د/عبدالقادر الشبخلى، مكتبة دار الثقافة، ١٩٩٥م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة.
- لغة القانون فى ضوء علم لغة النص، د/ سعيد أحمد بيومى، دار الكتب القانونية، دار شتات، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- مبادئ القانون، د/ ثروت الأسيوطى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٤م.
- متطلبات الصياغة التشريعية الجيدة وأثرها على الإصلاح القانونى، د/ ليث كمال نصرأوين، كلية الحقوق، الجامعة الأردنية.

مجموعة أحكام المحكمة الدستورية .

محاضرات في الترجمة القانونية، جمع وإعداد ومراجعة أيمن كمال السباعي.
المدخل للعلوم القانونية القسم الأول (النظرية العامة للقانون)، د/ توفيق حسن
فرج، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩٣م.

معجم المصطلحات القانونية، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية
للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م.

النظام الجبائي الإسلامي، دراسة قانونية، جمال الهواري، الجزائر، ١٩٩٢م.
النظرية العامة للقانون، د/ مصطفى محمد الجمال ود/ عبد الحميد محمد، الدار
الجامعية، بيروت، ١٩٨٧م.

نظم الحكم ودستور الإمارات، د/ محمد كامل عبيد، إصدارات أكاديمية
الشرطة، ط١، ٢٠٠٣م.

النظم السياسية والقانون الدستوري، د/ فؤاد العطار، دار النهضة العربية،
القاهرة.

نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي، تحقيق الشيخ فارس الحسون، مركز
الأبحاث العقائدية.

الوسيط في علم الصياغة القانونية، الكتاب الأول النظرية العامة للصياغة
القانونية، المستشار الدكتور /عبدالناصر على عثمان، المجموعة العلمية
للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٤١هـ - ٢٠٢١م.